مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــ المجلد: 12 / العـدد:01 (مـــاي 2024) ص 298– 310
ISSN: 2335–1381 EISSN: 2602–5949 Legal Deposit: 2013–6352

الحزب الشّيوعي الجزائري ومسائل في الهويّة والثّقافة (1936–1954)

The Algerian Communist Party and Issues of Identity and Culture (1936-1954)

الدكتور: يوسف قنفود
Dr : Youssouf Guenfoud
1 جامعة الجيلالي بونعامة–خميس مليانة (الجزائر)، youcefg2022@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/08/01	تاريخ القبول: 2023/12/18	تاريخ النشر: 2024/05/16

الملخص : يتناول المقال بعض مسائل الهويّة والثّقافة في منظور الحزب الشّيوعي الجزائري عبر مراحل الحركة الوطنية، من خلال الوقوف على عدّة حقائق تاريخية حول موقف الحزب من تلك المسائل، والتّي عكست رؤية الحزب وتوجّهاته فيها عمق الشّرخ الذّي أحدثه الاستعمار الفرنسي في الثّقافة الوطنية بمفهومها الواسع، وظلّت صفة التّناقض والغموض والتقلّبات في المواقف من أبرز السّمات التّي طبعت مواقف الشّيوعيين من المسائل الوطنية بشكلٍ عامٍّ.

كانت محاولات الشّيوعيين محتشمة بخصوص قضايا اللّغة العربية وتعميم التّعليم على الجزائريين، أرادوا من خلالها التّغلغل في المجتمع الجزائري بعد أن وجدوا أنفسهم بعيدين عنه، لأنّهم آمنوا بالموروث الثّقافي الفرنسي، وباستثناء بعض العناصر الحذرة والمتريّثة، فهم لم يعترفوا بالهويّة الجزائرية، ورأوا بأنّ الأمّة الجزائرية غير موجودة تاريخيّا، وهو الأمر الذّي جعل الحزب يرتكب العديد من الأخطاء والتّجاوزات التّاريخية في حقّ القضية الوطنية.

الكلمات المفتاحية: الحزب الشّيوعي الجزائري، الهويّة، الثّقافة، الوطنية.

Abstract

This study deals with issues of identity and culture from the communist party perspective through all its stages. Based on facts, the party's vision reflected the deep division in their political orientation caused by french colonialism. That contradictions in its position had shaped the party's handling the national question.

They had tried to win favor of Algerian people through their decent efforts in Arabic language support and universal education. Except some certain careful members, they were too dependent on french culture values and even they did not recognise the existence of the Algerian nation. Accordingly, the party had not been a true representative of the National cause

Keywords: The Algerian Communist Party, Identity, Culture, National Cause.

المؤلف المرسل: الدكتور: يوسف قنفود، **الإيميل**: yguenfoud@univ-dbkm.dz

مقدمة:

عرفت تيّارات الحركة الوطنية الجزائرية ديناميكيّة مختلفة في النّضال، برزت من خلالها بعض مسائل الهويّة والثّقافة التّي نادت بها ضمن برامجها ومطالبها المطروحة، إلى جانب ما كُتب من مقالات في الجرائد الوطنية، وما أُلقي من خطابات، أو ما كُتب من جانب شخصيّ، وكان حجم تلك المسائل بالنّسبة للتيّارات الوطنية متراوحًا بين التمسّك بالثّوابت الوطنية والثّقافة الجزائرية، وبين التّشتّت والضّياع في الانتماء الثّقافي، وفي هذا المقال سنُسلّط الضّوء على تلك المسائل في أدبيات الاتّجاه الشّيوعي الجزائري.

1–الحزب الشّيوعي الجزائري: الظّهور والإيديولوجية (1936–1945):

تشير مختلف المصادر أنّ المبادئ الشّيوعية انتشرت في الجزائر بفعل نضال وتعاطف العديد من الجزائريين بداخل الحزب الاشتراكي الفرنسي، سواء كعمّال أو موظّفين أو طلبة، فكان بذلك مصدر تأسيس الحزب الشّيوعي الجزائري (P.C) كمنظّمةٍ سياسيةٍ وطنيّةٍ –وركيزته الأساسية الحركة النّقابية العمّالية–في خضم نشاطات الحزب الشّيوعي الفرنسي (أوزقان، 2005، صفحة 60)؛ الذّي نقل نشاطاته إلى شعوب المستعمرات بغرض استمالتها لخدمة أغراضه الخاصّة.

ظهرت أوّل نواة تمثيلٍ منظّمٍ للشّيوعيين الجزائريين –والذّين أغلبهم من المستوطنين الفرنسيين–بالجزائر في الوفد الذّي شارك بالمؤتمر الذّي عقده الحزب الشّيوعي الفرنسي في مدينة تور سنة 1920م، حين تزعّم الوفد الجزائري "شارل أندري جوليان"، وأكّدت قرارات المؤتمر على إنشاء فروع شيوعية في مستعمرات فرنسا بشمال إفريقيا من بينها الجزائر (المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، صفحة 276).

ومع بداية ثلاثينيات القرن العشرين، أصبح التوجّه الشّيوعي في الجزائر حاضرًا مع كلّ المستجدّات، فقد أرسلت خلايا الحزب الشّيوعي بفرنسا بعض المناضلين الباريسيين النّشطين لتمكين الخلايا الحزبية للشّيوعيين من أجل محاربة الإمبريالية والفاشية، ومع تطوّر الأحداث وبروز التيّار الوطني الاستقلالي وتوسّع نشاطات التوجّه الإصلاحي الممثّل لجمعية العلماء، توسّعت خلايا الحزب الشّيوعي بدورها في الجزائر، وانفصل عن الحزب الشّيوعي الفرنسي منذ 1935م (مريوش، 2013، صفحة 274)، ثمّ عقد مؤتمره التّأسيسي الأوّل في جويلية 1936م بباب الواد بمشاركة السّكرتير الثّالث للحزب الشّيوعي الفرنسي (أوزقان، 2005، صفحة 61)، ومع ذلك كان يفقد خاصية جزائريته ببقائه تابعًا للحركة العمالية الفرنسية مُسيَّرا من باريس (أوزقان، 2005، صفحة 61).

ولم يتمكّن الحزب الشّيوعي من فرض نفسه في الحركة الوطنية (أوعامري، 2016، صفحة 465)؛ فقد ظلّ مرتبطًا بالحزب الشّيوعي الفرنسي الذّي كان يُسيّره، فإلى غاية سنة 1936م لم يكن هناك حزب شيوعي جزائري، بل فيدرالية جزائرية للحزب الشّيوعي الفرنسي (حربي، 1994، صفحة 111)، ظلّت أهدافها غامضةً في الكثير من الأطروحات الوطنية التّي شهدتها السّاحة الجزائرية.

ولم تكن للحزب الشّيوعي الجزائري نظرة خاصّة فيما يتعلّق بالمسألة الوطنية، بل كان متقلّبًا في مواقفه؛ فطالب بالمواطنة الفرنسية لفائدة النّخب سنة 1936م، ثمّ بالمساواة بين المجلس الجزائري المنتخب والمجلس الخاص بالأوربيين سنة 1947م، ثمّ بالاستقلال وبمجلس موحّد (حربي، 1994، الصفحات 112-113). كما كشف الحزب مرارًا عن أهدافه بكونه حركة نقابية مدافعة عن حقوق العمّال والفلّاحين ومطالبة بتحسين ظروفهم المادّية والاجتماعية، وكان أكبر تركيزه على تحسين ظروف العيش للسّكان.

دخل الحزب فترة الحرب العالمية الثّانية مهزومًا، بسبب قرار الحلّ الذّي ترتّب عنه إلقاء القبض على عدد كبير من قادته، وانسحاب أعداد غفيرة من مناضليه الذّين رأوا أنّ سياسة الحزب لا تتماشى مع مصالح الشّعب الجزائري؛ وتقف ضدّ توجّهات حزب الشّعب الرّامية إلى استرجاع السّيادة الوطنية، وتخدم الإدارة الاستعمارية ممثّلة في الجبهة الشّعبية التّي لم تُقدّم أيّ شيء للجزائر (الزبيري، 1999، صفحة 224).

وكان للحزب موقف خاصّ وصريح من مأساة الجزائر في الثّامن ماي 1945م، حيث كان يومئذ هو الحزب الوحيد المسموح له بممارسة نشاطه السّياسي بالجزائر؛ كما أنّه ندّد بموقف حزب الشّعب واعتبره (فاشستيّاً) (بن خدّة، 2012، صفحة 158)، وحرّض السّلطات الفرنسية على الاقتصاص من مناضليه، وهو الموقف الذّي اعتبر على إثره مناضلو حزب الشّعب الجزائري أن الحزب الشّيوعي هجين وغير أهلي (بن خدّة، 2012، صفحة 158) وأنّه مجرّد تنظيم تابع للحزب الشّيوعي الفرنسي (أوزقان، 2005، صفحة 21).

اشتغل الشّيوعيون على الصّحافة لنشر أفكارهم وسط الجزائريين، ومن أشهر الجرائد التّابعة لهذا التيّار:

***جريدة الحرية (Liberté):** صحيفة أسبوعيّة صدرت بالجزائر العاصمة، وهي لسان حال الحزب منذ سنة 1943م، كانت تتطرق لمبادئ وتوجّهات الحزب وتتعرّض لمآسي الجزائريين (عكاش، 2015، صفحة 90)، ترأّس تحريرها الكاتب الصّحفي "بوعلام خالفة"، ويعتبر عمار أوزقان من أبرز المحرّرين بها في فترة الأربعينات.

***جريدة الجزائر الجمهورية (Alger Républicain):** أُنشئت عام 1938م بدعم من بعض التقدّميين أمثال "شارل أندري جوليان"، وظهرت كصوت للتيّار المعارض بقوّة لكبار المعمّرين ولسياسة الإدارة التّي كانت في مقدّمتهم، وساهم في تأسيسها العديد من الاشتراكيين والنّقابيين والسّكان الأصليين، أي أنّها كانت بإشراف مشترك

من المثقّفين المسلمين والفرنسيين، من أمثال محمد ديب وكاتب ياسين وألبير كامو، ومن كتّابها الجزائريين أيضا الصادق هجرس والبشير حاج علي (علاق، 2007، صفحة 177)، اهتمت الجريدة بشكل خاص بطرح الأوضاع الصّعبة التي عاشها الجزائريون خلال سنتي 1944و1945م، حيث ندّدت بالظّلم والبؤس والتّمييز العنصري الذّي تعرّض له السّكان الأصليون، وهاجمت كبار المعمّرين، وحمّلت النّظام الاستعماري مسؤولية ما يمكن أن ينجرّ على ذلك (عكاش، 2015، صفحة 90).

***جريدة الكفاح الاجتماعي (La Lutte Sociale)**: أشرف عليها الفرنسي فيكتور سبيلمان Victor Spilmane، وأُعتبرت لسان حال الاتّحاد الشّيوعي الجزائري منذ 1925م، كانت تدعو الجزائريين للانخراط في فرع الحزب الشّيوعي الفرنسي بالجزائر، توقّفت عن الصّدور لفترة قصيرة عام 1933م ثمّ عادت للظّهور في أفريل 1934م داعية إلى محاربة الوطنيين الإصلاحيين باعتبارهم عائقًا في محاربة الامبريالية لما لهم من نفوذ في الوسط الجماهيري (لخميسي، 2019، الصفحات 192–193).

***الجزائر الجديدة:** جريدة باللّغة العربية أصدرتها هيئة الحزب الشّيوعي بالجزائر العاصمة، ترأّس تحريرها عمّار أوزقّان، ومديرها المسؤول "أحمد محمودي" ثمّ "الحاج علي"، صدر العدد الأول لها سنة 1946م، رغم أنّ بعض المصادر تشير أنّها صدرت في سنة 1943م (زكرياء، 2003، صفحة 186) واستمرت إلى غاية سبتمبر 1955م. دافعت الجريدة عن اللّغة العربية وطالبت بتوسيع إنشاء المدارس العربية، كما تضمّنت بعض مواقف الحزب حول مسألة الهويّة والثّقافة خلال مراحل الحركة الوطنية.

2–مسائل في الهويّة والثّقافة لدى الحزب الشّيوعي الجزائري:

كشف الحزب الشّيوعي الجزائري عن مواقفه تجاه مسألة الهويّة وتجاه بعض القضايا المجتمعية المطروحة، كقضايا اللّغة والثّقافة، فكان مدعّما للجوانب الثّقافية للجزائريين وتحديدا قضية استعادة العربية باعتبارها لغة غالبية المجتمع (مريوش، 2013، صفحة 275)، وناشد الحزب السّلطات الفرنسية بضرورة فصل الدّين عن الدّولة وفق الطّرح الأوربي، وطالب بتحرّر المرأة الجزائرية ومنحها حقوقها الكاملة وإدماجها في المجتمع كما كان عليه الحال في المجتمعات الأوربية، وظلّ مصرًّا على مواقفه العلمانية (حربي، 1994، صفحة 113).

وأيّد الحزب سياسة الاندماج والتجنّس (مريوش، 2013، صفحة 277)؛ فقد بارك مشروع بلوم فيوليت سنة 1936م الذّي هدف إلى تسهيل مهمّة إلحاق الجزائر بفرنسا، وكانت له مساهمة واضحة في التّحضير للمؤتمر الإسلامي في نفس السّنة، وكانت شخصية عمّار أوزقان (أوزقان، 2005، صفحة 01) قد لفتت الأنظار في هذه

الفترة، حيث قدّم مطالب الحزب الشّيوعي في المؤتمر، والتّي حملت الجوانب الاجتماعية والاقتصادية التّي طالما نادى بها الشّيوعيون.

2-1-الأمّة والهويّة الجزائرية في برامج ومنشورات الحزب:

لم تعكس برامج الحزب الشّيوعي الجزائري تطلّعات الطّبقة العمّالية الجزائريّة كما هو الحال في أوروبا، بقدر ما كانت تعبيرا عن رغبات الأوربيين في الجزائر (حربي، 1994، صفحة 111)، أمّا الجزائريون الذّين انضمّوا إلى المناضلين الأوربيين ليكونوا كوادرًا في الحزب، فكانوا في غالبيتهم موظّفين ومدرّسين وطلبة متأثّرين بالعقلية والثّقافة الغربية، وكانت لهم نفس التّربية الموجودة عند الاندماجيين (حربي، 1994، صفحة 111)، فكان الحزب الشّيوعي الجزائري ضائعًا يلتزم بتقليد أوامر الحزب الشّيوعي الفرنسي، التّي لم تكن تخدم طموح القضية الجزائرية ولا مطالب الحزب نفسه (لهلالي، 2017/2016، صفحة 229)، وبالتّالي لم يكن لهذا الأخير تأثير واضح على القاعدة الشّعبية ولا على القضية الوطنية.

يبدو من خلال تتبّع تقلّبات مواقف الحزب الشّيوعي الجزائري أنّه لم يحقّق المطابقة بين النّضال القومي والنّضال من أجل تحقيق الاشتراكيّة، فقد طالب تارة بالمواطنة الفرنسية لفائدة النّخب (1936م)، ثمّ بالمساواة بين المجلس الجزائري المنتخب وبين المجلس الخاص بالأوربيين (1947م)، ثمّ أخيرا بالاستقلال وبمجلس موحّد (حربي، 1994، الصفحات 112-113).

حدّد الحزب مفهومه للجزائر في خطاب ذو نزعة استعمارية واضحة عام 1939م، جاء فيه: "إنّ الجزائر أمّة في طور التّكوين سيكون شعبها خليطا من عناصر أوربية وأخرى عربية وبربريّة يتمخّض دمجها عن جنس جديد هو الجنس الجزائري، لكنّ هذه الأمّة لم ترتق بعد إلى مستوى النّضج" (حربي، 1994، الصفحات 112-113).

ويستخلص من مقالات الشّيوعيين في جريدة الحرية (Liberté) سالفة الذّكر أنّ اهتمامهم انصبّ على حثّ الجزائريين على التّجنيد، وتحسين ظروف المعيشة لديهم، وبخصوص الخط السّياسي للحزب فعاد إدماجيّا يعمل من أجل "جزائر حرّة موحّدة مع فرنسا حرّة"(Archive de lz wilaya d'oran , 1943) ، نافيا بذلك فكرة الاستقلال التّي عمل من أجلها التيّار الوطني بمختلف اتّجاهاته من خلال بيان الشّعب الجزائري وملحقه (أوعامري، 2016، صفحة 461).

وجاء في مقال لجريدتهم "الجزائر الجديدة": "عرّف الرّفيق موريس طوريز الجزائر بأنّها أمّة في طور التّكوين، وأنّ الشّعب الجزائري سوف يعترف بفضل الحزب الشّيوعي الفرنسي ويقرّ بما لزعيمه الأكبر طوريز من أيادٍ بيضاء على الجزائر" (لامبار، 1951، صفحة 07).

وكانت الانتخابات العامّة لجوان 1946م المحك الذّي أبان وزن الشّيوعيين الحقيقي على السّاحة الوطنية، فصدمة النّتائج جعلت قادة الحزب يعيدون النّظر تجاه الجزائريين، بوضع خط سياسي جديد يعتمد على التّحالف مع الأحزاب الوطنية والعمل معها من أجل جزائر ديمقراطية لها دستورها وحكومتها مرتبطة فيدراليا مع فرنسا (أوعامري، 2016، صفحة 462).

يبدو أنّ إنكارهم الواضح هذا لوجود أمّة جزائرية هو الذّي دفع بهم إلى الصّمت عن المسائل الثّقافية كمسألة اللّغة العربية مثلا التّي لم يولوها اهتمامًا كبيرًا، فكانت العقبة الثّقافية هي الحاجز الذّي يصعب على الحزب الشّيوعي الجزائري تجازوه؛ فلا هو قادر على استيعاب الثّقافة الجزائرية بمقوّماتها واحتوائها، ولا على تبنّيها، ولا على تجديدها، فوجد نفسه بذلك محروما من أداة مهمّة للتّخاطب مع المجتمع وهي ثقافته (حربي، 1994، صفحة 113)، رغم أنّه دافع عن العربية كلغة رسميّة ولكن بصورة محتشمة حين حاول التّغلغل في صفوف المجتمع الجزائري كنوع من التّكتيك (أوعامري، 2016، الصفحات 462–463)، وكانت له مطالب محتشمة بخصوص التّعليم، ونادى بفصل الدّين عن الدّولة مُصرّا على مواقفه العلمانية كما سيأتي عليه الذّكر.

ولعلّ من بين الاستثناءات عند الشّيوعيين في الاختلاف حول مرجعية الهويّة المناضل عمّار أوزقان، فهو كمناضل قديم في الحزب يختلف عن زملائه في عدم نكرانه للإسلام ولعروبة الجزائر، فنجده يركّز في كتاباته المختلفة على الإسلام كمرجع مهمّ للهويّة والشّخصية الوطنية الجزائرية، وله مقالات بالفرنسية في جريدة "الشّاب المسلم" حول العروبة والإسلام والوطنية.

لقد كان الحزب الشّيوعي الجزائري ترجمانا للأفكار الشّيوعية في فرنسا، وهو ما يؤكّده أوزقّان عندما ذكر بأنّ منشورات الحزب الشّيوعي الفرنسي كانت مصدرًا لثقافة الشّيوعيين في الجزائر (Ouzegane, 2006, p. 42)، فأنصار الحزب يؤمنون بالموروث الثّقافي الفرنسي وينكرون الهويّة والأمّة الجزائرية، فكانوا ثقافيّا أقرب إلى فرنسا وأكثر استعمالًا لتقاليد الجمهوريّة الفرنسية، وهو ما جعلهم يفشلون في جلب دعم وثقة الجزائريين، وكان الحزب كذلك أكثر انعزالًا عن الجماهير من خلال عدم فهمه للقضيّة الوطنية فهمًا صحيحًا، وقد فرض عليه انحيازه اللّامشروط للحزب الشّيوعي الفرنسي تحاليلًا واستراتيجيات غريبة عن الواقع الجزائري (حربي، حياة تحدّ وصمود: مذكّرات سياسية (1945–1962)، 2004، صفحة 79)، وهو ما جعل العديد من الباحثين يعتبرونه حزبًا غير وطنيّ أو أنّه على هامش الوطنية.

2-2-اللّغة العربية والتّعليم في مطالب الحزب:

أدّت عدم استقلالية الحزب الشّيوعي الجزائري عن الحزب الشّيوعي الفرنسي إلى توجيه مسار مفاهيمٍ عديدةٍ تُشكِّل في مجملها مبادئ ومقوّمات الحزب، فبعد تأسيس القوى الوطنية لـ "أحباب البيان والحريّة" في مارس 1944م، قام الشّيوعيون بدورهم بتأسيس "أحباب الدّيمقراطية" تعبيرًا منهم عن رفضهم لأحباب البيان والحريّة (لهلالي، 2017/2016، صفحة 237)، يدعون فيها إلى إلحاق الجزائر بفرنسا وإلى تحسين الظّروف المعيشية للجزائريين، وهذا ما يعني أنّ مطالبهم ظلّت اجتماعية واقتصادية بحتة منذ تأسيس الحزب.

وممّا جاء في مطالب أحباب الدّيمقراطية في المجال الثّقافي: اعتبار اللّغة العربية لغة رسميّة إلى جانب الفرنسية، وإعادة فتح المدارس الموجودة وإحداث مدارس جديدة لتعليم الأطفال اللّغتين الفرنسية والعربية في انتظار حلّ عام لقضيّة مليون طفل دون مدرسة (بن العقون، 1984، الصفحات 342-343).

رغم اتّساع الهوّة بين الحزب الشّيوعي الجزائري والائتلاف الوطني الجزائري الذّي رفض الشّيوعيون الانخراط فيه، فالظّاهر أنّ الحزب قد تطوّر كغيره من التيّارات الأخرى تجاه الوضعية الجزائريّة، خصوصا بعد مأساة الثّامن ماي 1945م، فقد كشف قادة الحزب أنّ اهتماماتهم تتدرج في خدمة قضايا الجزائر، وأنّ مطالبهم لم تكن بعيدة عن انشغالات الشّعب الجزائري، ومن جملتها قضيّة ترسيم اللّغة العربية.

جاء في المادّة العاشرة من الفصل الثّاني من القانون الخاص بالجزائر المُقدّم من قبل الحزب الشّيوعي الجزائري والذّي وضعه نوّابه على المجلس الوطني الفرنسي في 13 مارس 1947م ما يلي: "اللّغة الفرنسية واللّغة العربية معترف بهما بنفس الحقوق كلغتين رسميتين، وتُدرس اللّغتان بنفس الحقوق على قدم المساواة وعلى جميع الدّرجات وفي جميع المدارس التّعليمية العامّة" (بوعزيز، د.ت، صفحة 35).

وذكرت جريدة الحريّة (Liberté) مطالب وبرنامج الحزب في نوفمبر 1953م، وكان من جملة هذه المطالب المدرجة في النّقطة الخامسة "تعميم التّعليم وجعل اللّغة العربية لسانًا رسميًّا إلى جانب اللّغة الفرنسية" (مريوش، 2013، صفحة 262).

يبدو أن الحزب الشّيوعي ونتيجة عدم تبنّيه لمطالب الشّعب الثّقافية والسّياسية، لم يكن يلقى الانتشار لمذهبه كما هو الشّأن بالنّسبة لجمعية العلماء أو التيّار الاستقلالي، وأدرك أنّه بقي منعزلًا عن الشّعب، لذلك كان يُظهر أحيانا احترامه للإسلام والعربية في الجزائر لحسابات سياسية بحتة، وهذا ما صرّح به أحد أعضاء الحزب الشّيوعي الفرنسي قائلا: "إنّ الاعتقاد الدّيني كان قويّا جدّا في حياة المسلم المتعلّق بدينه تعلّقا شديدا، وذلك ما كان يشكّل عائقا أمام الحزب الشّيوعي الجزائري، كما أنّ حزب الاتّحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وحزب حركة الانتصار

للحرّيات الدّيمقراطية كان لهما تأثير قويّ لأنّهما وطنيّان ومعاديان للشّيوعية" (حربي، حياة تحدّ وصمود: مذكّرات سياسية (1945–1962)، 2004، صفحة 97).

وإذا كانت مطالب هذا التيّار لم ترق إلى المستوى في الحركة الوطنيّة، لكونها محدّدة من الحزب الشّيوعي الفرنسي والإيديولوجية الشّيوعية، فإنّ قضايا الثّوابت الوطنيّة لم تكن بعيدة عنه، خصوصا وأنّ مناضلي الحزب لم يكونوا كلّهم مبهورين بالثّقافة الفرنسية وحضارتها كما ذكرنا بالنّسبة لأوزقّان، فقد كانت هناك عناصر أخرى آمنت بضرورة الإسلام والتّاريخ والثّقافة العربية الإسلامية.

يذكر عمّار أوزقّان في كتابه "الجهاد الأفضل" مكانة اللّغة العربية في إذكاء الحسّ الوطني بالقول: "وليس من فعل الصّدفة أن نجد اللّغة العربية اليوم تغذّي الإحساس بالانتماء المشترك للأمّة الجزائريّة، كما كانت تثير حركة التّوحيد اللّساني في ظلّ دولة الموحدين أو الفاطميين" (أوزقان، 2005، صفحة 29).

ويدعو إلى تعلّم العربية بقوله: "تعلّم اللّغة العربية من جديد يعني إنعاش التّعليم الطّبيعي والعقلاني والتّاريخي" (أوزقان، 2005، صفحة 27)، ويبرز أوزقان كذلك مكانة الفرنسية في حزبه: "ولا يعني هذا أنّنا نحتقر لغة فولتير وجدريس وإيلوارد ... ولأنّنا على عكس ذلك نحبّ اللّغة الفرنسية التّي انتزعناها من المستعمر التّجهيلي ..." (أوزقان، 2005، صفحة 30).

وفي مجال العربية أيضا، يمكننا أن نذكر بأنّ الحزب أصدر بعد نهاية الحرب العالمية الثّانية جريدة "الجزائر الجديدة" في 1946م باللّسان العربي، وهي اللّسان المركزي للشّيوعيين، وقد تمّت الإشارة إليها سابقًا.

تطرّقت هذه الجريدة في بعض أعمدتها لقضية الاعتراف باللّغة العربية كلغة رسميّة في الجزائر، لكنّ هذه الأعمدة كانت قليلة وتُعدّ على الأصابع، منها على سبيل المثال ما جاء في العدد الأول عام 1946م عن الطّلب الذّي قدّمه نوّاب شيوعيون في مجلس العمالة بالجزائر بتاريخ 26 نوفمبر 1946م للموافقة على جعل اللّغة العربية رسميّة في الجزائر بجانب الفرنسية، وأن يكون تعليمها إلزاميًّا على جميع درجات التّعليم في القطر الجزائري (الجزائر الجديدة، 1946، صفحة 03).

وممّا جاء في الجريدة أيضا: "إنّ الاعتراف باللّغة العربية رسميّة بجانب الفرنسية سيمحي بعض الغموض ويساهم في توثيق اتّحاد حرّ متزايد تامّ مع الشّعب الفرنسي ... ويجب على الجمهورية الفرنسية أن تضمن في دستورها الجديد لجميع الشّعوب الحقوق والحرّيات القوميّة للإنسان، وبهذا تربح ثقة الجزائريين والعالم الإسلامي، وتسهّل بعث الثّقافة العربية التّي أنارت العالم وساهمت بنشاط في التقدّم والمدنية الإنسانية" (الجزائر الجديدة، اللّغة العربية، 1946، صفحة 03).

كما نشرت الجريدة رسالة مقتضبة لأحد الشّيوعيين الذّين دأبوا على النّشر بها باسم مستعار (ع.ب)، تشرح فيها أنّ الحزب ونوّابه في مختلف المجالس كانوا من الأوائل الذّين رفعوا علم الكفاح في سبيل جعل اللّغة العربية رسميّة في الجزائر، وأنّها من المطالب الوطنية الأساسية للحزب، من أهمّ فقراتها: "وإن أردنا ألّا نُقيّد مستقبلنا، وألّا نشتّت وحدتنا فلنتوجّه للعربيّة توجّها حقيقيّا يضمن إحياءها وتنميتها، وكلّ مخلص للأمّة الجزائريّة والجزائر ينبغي له أن يعمل لهذه الغاية حسب عمله ومستطاعه" (ع.ب، 1949، صفحة 02).

أمّا بالنّسبة للتّعليم، فتُوضّح وثيقة خاصة بالحزب مؤرخة في جوان 1946م بمناسبة تقديم قائمته وحملته لانتخابات دستور الجزائر، بأنّ نظرة الحزب متّجهة نحو تعميم التّعليم في المدارس على جميع الأطفال من الذّكور والإناث، حتّى تكون لهم القابلية للوصول إلى المدارس العليا، وأنّ الحزب يعبّر عن انتظاره للتّعليم الإجباري المجّاني للّغة العربية والاعتراف بها كلغة رسميّة إلى جانب اللّغة الفرنسية (قنفود، 2023/2022، الصفحات 310-311).

وعبّرت "الجزائر الجديدة" عن امتعاضها من عدم تطبيق مرسوم 27 نوفمبر 1944م لتعميم التّعليم على جميع الجزائريين المسلمين والأوربيين (الجزائر الجديدة، التّعليم ركن من أركان الوطنية، 1947، صفحة 02)، وذكرت أنّ التّعليم هو ركن من أركان الوطنية، وأنّ حالته أصبحت محزنة خصوصا بين المسلمين في البوادي والمدن، ودعت جميع الأحزاب والجمعيات الوطنية لتشكيل لجنة للمطالبة بنشر التّعليم في الجزائر (الجزائر الجديدة، التّعليم ركن من أركان الوطنية، 1947، صفحة 02).

كما كانت الجريدة في كلّ مرّة تعاتب الإدارة الجزائرية على الكمّ الهائل من الأطفال المسلمين المعرّضين للجهل والأميّة، وممّا جاء في إحدى أعدادها بهذا الخصوص: "...والمصيبة هي أنّ الإدارة الجزائرية بدلًا من تشجيعها التّعليم تعمل على مقاومته، فقرى بكاملها محرومة من المدارس والتّعليم وخصوصا باللّغة العربية، رغم أنّ القانون الأساسي للجزائر ينصّ على جعل التّعليم بالعربية إلزاميّا في جميع المدارس وعلى جميع الدّرجات...وتُعامل الإدارة مدرّسي اللّغة العربية باحتقار" (الجزائر الجديدة، الجناية الاستعمارية على التّعليم في الجزائر، 1948، صفحة 02).

إذا كان الحزب الشّيوعي قد فصل في مطالبه تجاه اللّغة العربية وتعميم التّعليم العربي بالموازاة مع التّعليم الفرنسي، والتّي فيها نوع من الإيجابية بعد سنة 1946م، فقد ظلّت مطالبهم حبرا على ورق، واكتفوا بالتّعبير عنها في بعض خطبهم وبياناتهم دون أن يخوضوا المعترك النّضالي الذّي يمكّنهم من تحقيقها مثلما فعلت جمعية العلماء

وحركة الانتصار للحريات الدّيمقراطية، كما أنّ تعبيرهم عن بعض المطالب الاجتماعية كان أكثر حدّة من تعبيرهم عن قضايا العربية والتّعليم.

وبالنّظر لعدم اعتراف الشّيوعيين بوجود أمّة جزائرية، فإنّهم لم يولوا أهميّةً لكتابة التّاريخ الوطني، سيما وأنّه جزءٌ مهمٌّ من المسألة الثّقافية، رغم وجود بعض المقالات المحتشمة حول تاريخ الجزائر في صحيفة الحريّة، وقد ارتبطت بالعهد العثماني الذّي اعتبروه أساس قيام دولة جزائرية، وكانت تلك المقالات في حدود الخمسينات بعد صعود عدد من المسلمين الجزائريين إلى قيادة الحزب (لهلالي، 2017/2016، صفحة 263).

2-3-الدّين الإسلامي في توجّهات الشّيوعيين:

كان الشّيوعيون يرفضون اعتبار الإسلام عنصرًا من عناصر هويّة الأمّة الجزائرية التّي هي قيد التّكوين، ووصل بهم الأمر لرفض وصف الحضارة الإسلامية بالجزائر بأنّها ذات طابع إسلامي، وفضّلوا أن يطلقوا عليها "الحضارة العربية البربرية" (قنفود، 2023/2022، صفحة 313)، ويبرّر أوزقّان هذا الرّفض للإسلام بكون المناضلين الشّيوعيين الجزائريين قد درسوا الماركسية إلى جانب القرآن في نفس الوقت (Ouzegane, 2006, p. 41)، ومع ذلك كانت هناك بعض العناصر المُدركة لقيمة الدّين كعامل محرّك في المجتمع لذلك كانت حذرة في هذه المسألة.

وصرّح أحد الشّيوعيين حول نظرتهم للدّين الإسلامي في مقال بجريدة "الجزائر الجمهورية" تحت عنوان "هل يمكن إدخال الدّين في مطالبنا؟"، جاء فيه: "إنّ المعتقدات المتنوّعة والتصوّرات المختلفة لنفس المعتقد تبرز مدى هشاشة الرّابط الدّيني كعامل وحدة وعمل، إذ تأملنا آثار الدّين هو خطر على حركة تطوّر الجماهير...وإنّكم بذلك تخاطرون في الجزائر ببعث ظاهرة عرفتها فرنسا وهي الحروب الدّينية ... ومن الفائدة أن يكون الدّين شأنا خاصّا جدّا، لا ينبغي الخلط بين مؤمن ومواطن، هذا التميّز أساسي" (Braik, 1939, p. 03)، ويظهر أنّ صاحب المقال رفض اعتبار الدّين عامل وحدة باعتباره خطرا في بروز ظاهرة الحروب الدّينية كما حدث في فرنسا، كما اعتبر قضية الدّين ضمير شخصي، وهو يدعو لإحداث قطيعة مع الماضي كإنكار للهويّة الجزائرية.

أمّا عمّار أوزقان، فقد عبّر في مقال له بجريدة "الشّاب المسلم" تحت عنوان "الجزائر كانت وستبقى عربية مسلمة" أنّ الدّين الإسلامي بمثابة الإسمنت الذّي يرصّ مختلف الأطراف في وحدة شعبية، ويؤكّد في المقال عروبة الجزائر ودور الإسلام كمكوّن أساسي في الشّخصيّة الوطنية (Ouzegane, L'Algérie est et restera arabe et musulmane, 1952, p. 06)، مختلفا في ذلك عن بقية زملائه من الحزب.

ومن مواقف الحزب في قضية فصل الدّين الإسلامي عن الدولة واعتباره للدّين مسألة شخصيّة، أنّه في سنة 1946م وأثناء رحلة الذّهاب إلى الحج، وزّع أعضاءٌ من الحزب مناشيرًا تندّد بتدخّل الإدارة في شؤون الدّين الإسلامي، وبثّ بعض أنصاره الدّعاية في أوساط الحجيج لمطلب فصل الدّين الإسلامي عن السّلطة الفرنسية (الجزائر الجديدة، يجب فصل الدّين عن الدّولة للحصول على حريّة السّفر للحج، 1947، صفحة 04)، وهو المطلب الذّي كان موجودًا في برامج كلّ الاتّجاهات السياسية الوطنية، ولكنّ الإجماع عليه كان متفاوتًا بينها.

خاتمة:

لقد عكست رؤية الحزب الشّيوعي الجزائري لمسائل الهويّة والثّقافة عمق الشّرخ الذّي أحدثه الاستعمار الفرنسي في الثّقافة الوطنية بمفهومها الواسع، وقد ساهم ذلك بشكل كبير في التوجّه الثّقافي للشّيوعيين، فلم يكن لهم اهتمام بمسائل الهويّة والقضايا الثّقافية بشكل عام، باستثناء بعض المحاولات المحتشمة بخصوص اللّغة العربية والمطالبة بتعميم التّعليم على الجزائريين، عندما وجدوا أنفسهم بعيدين عن المجتمع الجزائري وحاولوا التّغلغل فيه، فهم آمنوا بالموروث الثّقافي الفرنسي مثلهم مثل الاندماجيين، وباستثناء بعض العناصر الحذرة والمتريّثة، فهم لم يعترفوا بالهويّة الجزائرية، ورأوا بأنّ الأمّة الجزائرية غير موجودة تاريخيّا، وأنكروا اعتبار الدّين الإسلامي عنصر هويّة للجزائريين، وظلّ التّناقض والغموض والتقلّبات في المواقف من أبرز السّمات التّي طبعت مواقفهم من المسائل الوطنية بشكلٍ عامٍّ، وهو الأمر الذّي جعل الحزب يرتكب العديد من الأخطاء والتّجاوزات التّاريخية في حقّ القضية الوطنية.

قائمة المراجع:

01-الجزائر الجديدة، (1946)، **اللّغة العربية**، الجزائر الجديدة، العدد 03، الصّفحة 03.

02-الجزائر الجديدة، (1946)، **النوّاب الشّيوعيون في مجلس العمالة بالجزائر يطلبون الاعتراف باللّغة العربية**، العدد 05، الصّفحة 03.

03-الجزائر الجديدة، (1947)، **التّعليم ركن من أركان الوطنية**، العدد 17، الصّفحة 02.

04-الجزائر الجديدة، (1947)، **يجب فصل الدّين عن الدّولة للحصول على حريّة السّفر للحج**، العدد 15، الصّفحة 04.

05-الجزائر الجديدة، (1946)، **الجناية الاستعمارية على التّعليم في الجزائر**، العدد 28، الصّفحة 02.

06-الزّبيري، محمّد العربي، (1999)، ت**اريخ الجزائر المعاصر ج1**، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق.

07–المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر 1954، (2007)، **منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1945**، مطبعة البساتين، الجزائر.

08–أوزقّان، عمّار، (2005)، **الجهاد الأفضل: كلمة حق عند سلطان جائر**، ترجمة: ميشال سطوف وآخرون، دار القصبة للنّشر، الجزائر.

09–أوعامري، مصطفى، (2016)، **الحزب الشّيوعي الجزائري والمسألة الوطنية 1920–1954**، مجلّة الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة–وهران1، المجلد 17، العدد 29، الصّفحات 461–465

10–بن العقّون، عبد الرحمان بن ابراهيم، (1984)، **الكفاح القومي والسّياسي من خلال مذكّرات معاصر ج2**، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

11–بن خدّة، بن يوسف، (2012)، **جذور أوّل نوفمبر 1954**، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار الشّاطبية للنّشر والتّوزيع، الجزائر.

12–بوعزيز، يحي، (د.ت)، **الإيديولوجيات السّياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

13–حربي، محمّد، (1994)، **الثّورة الجزائرية سنوات المخاض**، ترجمة: نجيب عياد وصالح المثلوثي، دار موفم للنّشر، الجزائر.

14–حربي، محمّد، (2004)، **حياة تحدّ وصمود: مذكّرات سياسية 1945–1962**، دار القصبة للنّشر والتّوزيع، الجزائر.

15–زكرياء، مفدي، (2003)، **تاريخ الصّحافة العربية في الجزائر**، ترجمة: أحمد حمدي، منشورات مؤسّسة مفدي زكرياء، الجزائر.

16–ع.ب، (1949)، **كيف تحيا اللّغة العربية**، الجزائر الجديدة، العدد 32، الصّفحة 02.

17–عكاش، عبد السّلام، (2015)، **تفسير الصّحافة الشّيوعية وصحافة الحركة الوطنية لدور المجاعة ضمن أسباب انتفاضة 8 ماي 1945**، مجلّة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة لونيسي علي–البليدة2، المجلد 12، العدد 02، الصّفحة 90.

18–علّاق، هنري (2007)، **مذكّرات جزائرية**، ترجمة: جناح مسعود وعبد السلام عزيز، دار القصبة للنّشر، الجزائر.

19–قنفود، يوسف، (2022–2023)، **القضايا الثّقافية في اهتمامات الحركة الوطنية الجزائرية 1946–1954**، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة–خميس مليانة، الجزائر.

20–لامبار، كامي، (1951)، **الحزب الشّيوعي الفرنسي والحركة الوطنية**، الجزائر الجديدة، العدد 51، الصّفحة7

21–لخميسي، فريح، (2019)، **نشاط الحزب الشّيوعي الجزائري في الزّيبان 1936–1954**، المجلّة التّاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف–المسيلة، المجلد 03، العدد 02، الصّفحات 192–193.

22–لهلالي، سلوى، (2016–2017)، **المسألة الثّقافية في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية 1919–1954**، قسم التّاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2–أبو القاسم سعد الله، الجزائر.

23–مريوش، أحمد، (2013)، **مكانة اللّغة العربية في برامج الحركة السّياسية الجزائرية ما بين 1926–1954**، مجلّة البحوث والدّراسات، جامعة وادي سوف، العدد 16، الصّفحات 262–277.

24–Archive de lz wilaya d'oran . (1943). oran: Centre d'Information et des Etudes.

25-Braik, Larbi. (10 mars 1939). **La Question indigène: Faut-il mêler la religion à nos revendications?** *Alger Républiquain, p03*.

26-Ouzegane, Amar. (12 septembre 1952). **L'Algérie est et restera arabe et musulmane**. *Le Jeune Musulman*(05), p 06.

27-Ouzegane, Amar. (2006). ***Le Meilleur combat***. Alger: ANEP.